

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة الخامسة

اغتنام الوقت في العمل الصالح

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الصادق الوعد الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفوس) . نتأمل خلالها في تزكية النفس باغتنام أيام هذا الموسم العظيم بطاعة الله سبحانه وتعالى .

يعيش المسلمون هذه الأيام في موسم عظيم من مواسم الطاعات ، أيام عشر ذي الحجة ، التي أخبر رسول الله ص عنها أن العمل فيها أفضل من العمل في سائر أيام العام على الإطلاق ، لما ورد في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ص أنه قال : « ما العمل في أيام العشر أفضل من العلم في هذه . قالوا ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(١) .

وفي رواية للترمذي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا! الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(٢) .

دل هذا الحديث على أن العمل في هذه الأيام أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء ، وفي رواية ما من أيام العمل فيها أفضل . ففيها يكون العمل أفضل من غيره ، وإن كان في غيرها

(١) كتاب العيدين ، حديث رقم ٩٦٩ .

(٢) كتاب الصوم ، حديث رقم ٧٥٧ (ترقيم أحمد شاكر) .

مفضولاً ، واستثنى من ذلك المجاهد الذي خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء ، فهذا الجهاد بخصوصه أفضل .

ومما يدل على فضل هذه الأيام ، أن الله سبحانه وتعالى أقسم بها بقوله { والفجر وليال عشر } والليالي العشر هي ليالي عشر ذي الحجة كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد ، وغير واحد من السلف والخلف، وقيل فيها: العشر الأول من محرم^(٣) ، وقيل العشر الأخير من رمضان ، والصحيح الأول كما ذكره ابن كثير .

ومن ذلك أيضاً اجتماع أمهات العبادات فيها : الصلاة والصوم ، والصدقة والحج ، والذكر والنسك .

وفيهما أفضل الأيام عند الله وهو يوم النحر كما في الحديث : أفضل الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر^(٤) .

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، إن فضل هذه الأيام يشترك فيها الحاج وغير الحاج ، إلا أن الحاج يتميز عن غيره في هذه الأيام بأنه يؤدي فيها عملاً من فضائل الأعمال وهو الحج ، كما أخبر رسول الله ص عن فضله ، لما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ سَأَلَ النَّبِيُّ ص أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَّبْرُورٌ»^(٥) .

فاجتمع للحاج في سبيل الله عمل من أفضل الأعمال، في أفضل أيام العام على الإطلاق ، ولاشك أن هذا الاجتماع فرصة عظيمة للحاج في تزكية نفسه وذلك بالحرص على تحقيق الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة .

ومن جانب آخر فإن إدراك الحاج لقيمة هذه الأيام، واغتنامها في طاعة الله سبحانه وتعالى بما تيسر من أنواع الطاعات ، وصنوف القربات،

(٣) ذكره ابن جرير ولم يعزه إلى أحد .

(٤) أخرج الإمام أحمد وأبو داود برقم ١٧٦٥ .

(٥) كتاب الحج ، حديث رقم ١٥١٩ .

له أثر عظيم في تركية النفس وفلاحها ، وأنواع الطاعات كثيرة ، ومنها على سبيل المثال :-

المحافظ على الصلاة في وقتها ، فهذا أيضاً من أفضل الأعمال ، كما أخبر بذلك رسول الله ص ، كما في صحيح البخاري ، من حديث ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٦) . وهذا أمر عظيم يجب على الحرص عليه . وكيف يتصور من حاج قطع الفياقي والفقار ، وترك أهله وماله وعياله ، حاجاً في سبيل الله أن يفرط في الصلاة ، ومن فرط في الصلاة ففي حجه نظر .

ومما تزكو به نفس الحاج من الأعمال الصالحة في هذا الموسم العظيم ، حرصه على ما يتيسر له من الأعمال الفاضلة كالطواف والتلاوة والذكر والدعاء ، والصدقة ، وإرشاد الضال ، وإعانة المحتاج ، وخدمة الإخوان .

ولقد ضرب سلف هذه الأمة أمثلة رائعة في خدمة الإخوان في الحج ، فقد قال مجاهد : صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه ، فكان يخدمني . وكان كثير منهم يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم اغتناماً لأجر ذلك ، منهم : عامر بن عبدقيس ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، مع اجتهداهما في العبادة في أنفسهما ، وكذلك كان إبراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه في السفر الخدمة والأذان . وكان ابن المبارك يطعم أصحابه في الأسفار أطيب الطعام وهو صائم ، وكان إذا أراد الحج من بلده مرو ، جمع أصحابه ، وقال : من يريد منكم الحج ؟ فيأخذ منهم نفقاتهم ، ، فيضعها عنده في صندوق فيقفل عليها ، ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة ، ويطعمهم أطيب الطعام ، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف ، ثم يرجع بهم إلى بلده ، فإذا وصلوا صنع لهم طعاماً ، ثم جمعهم عليه ، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم ، فرد إلى كل واحد نفقته^(٧).

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، من الأعمال التي تزكو بها النفوس في هذا الموسم العظيم : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة في موسم الحج ، وفي المشاعر المقدسة ، فكم يرى الإنسان من الأخطاء التي تقع منهم في الحج فعليه أن يجتهد في توجيه الناس

(٦) كتاب التوحيد ، حديث رقم ٧٥٣٤ .

(٧) انظر : ابن رجب الحنبلي ، لطائف المعارف ص ١٤٨ ، ٢٤٧ .

وإرشادهم بما يتيسر من قول وفعل ، ولكن كما قال سبحانه وتعالى { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة } . فكثير من الناس في هذه المواسم بحاجة ماسة إلى من يوجههم ويرشدهم إلى ما يصلح حجبهم .

كما لا ننسى أيضاً طرفاً من الأعمال الفاضلة التي تزكو بها النفوس التي يمكن للحاج القيام بها ، وهي إطعام الطعام وسقاية الماء ، فهناك بعض من الحاج ينتقلون بين المشاعر لا يحملون معهم زاداً ، إما لفقده أو لفقد ما يحملونه عليه . وبالجملـة أخي الحاج عليك أن تحرص على زكاة نفسك بإكثار الأعمال الصالحة في هذا الموسم العظيم .

أيها المستمعون الكرام ، حاج بيت الله الحرام ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا، وأن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم في حلقة أخرى أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .